

٢ - إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس ماري الكرملي

٣ - مل المعضلات

إننا لم ننكر يوماً ، بل دقيقة ، بل لحظة عين ، أن نمت جمع التكسير يكون مفرداً مؤنثاً ، أو جمعاً على السواء ، والطبوعات التي عنينا بنشرها - من تأليف ومقالات - مما طبع ولا تزال تتولى طبعه في المجلات والجرائد والكتب ، تشهد شهادة تفتأ في العين حصراً ، وتذّرّ فيها رماداً ، في الوقت عينه بأننا عملنا - ولا تزال نعمل - بهذه الضابطة المطردة ؛ ومن نسب إلينا الخلاف ، فهو أعمى أو يتعمى ، ولا يهمنا أمره ، إنما إنكارنا كان لما كان على أفضل فعلاء وجمعهما على فعل لا غير ؛ إذ لا يوصف الجمع المكسر والصحيح بغير هذه الصيغة الأخيرة ؛ فإنك لا تقول ألبنة : رجال سوداء ، ولا نساء سمراء ؛ ولا نهارات زهراء ، ولا ليالات بيضاء ؛ حتى أن الهوام لا تنطق بها . وكذلك لا تقول : كريات بيضاء ، ولو علقّت برجليك تلك الكرى دهوراً وعصوراً ، توبة وندامة على ما سلف من أغلاطك ، وعلى ما فرطت في حياتك

فالذي أنكرناه إذن - ولا تزال ننكره - هو قولك : كريات بيضاء ... فهذا كفر نحويّ عربيّ لم تنطق به الهوام ، ولا الأعاجم ولا الأروام !!

وقال أحد المعترضين^(١) الماندين الذي لا يريد أن يهتدى إلى سواء السبيل : وبحسب قاعدة الكرملي ، لا يجوز نعت المنازل بالآخرى ولا بالأولى ، كما جاء في قول المتنبي :

هذي منازلك الأخرى نهبتها فن يمر على الأولى يسليها ! لكن ، هل يستطيع هذا المخالف أن يقول لنا : أين رأى

كلامنا هذا ؟ أليس هذا كذباً منه وبهتاناً وافتئاتاً ؟ ! فهل في « أولى » و « أخرى » لون ، أو عيب ، أو حلية ؟ وهل تجمعمان على « أول » و « آخر » بضم أوليهما ؟ أفليس هذا مخالفاً للشرط الرابع ؟ فما هذا التعامي والعمى أجارنا الله منه ؟

(١) راجع مجلة الجمع العلمي العربي في ١٢ : ٢٧٣ - ٤٧٨

وأما قول الخصم : إن « المتنبي » قال :

« وبساتينك الجياد وما تحوّل من سمهية سمراء » فالسمهية هنا مفردة والسمراء كذلك . والمفردة هنا منكورة تدل على جمع ، فهي من قبيل وضع الواحد موضع الجمع ، وهذا معتاد في أسماء الأجناس . قال هذا علي في المخصص ١ : ٦٨ .

وقال هذا المعترض المسكين المغرور : السماع يؤيد القياس في هذا الشأن ، فمن السماع قول طرفة :

ويوم رأينا القيم فيه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجف قلنا : (حمراء) هنا مجاورة (لحي) ، وهي مفردة مؤنثة لخمراء صحيحة لما أشرنا إليه في الشرط الخامس

وقال المعترض أيضاً ، محاولاً بكل قواه أن يضع رأيه الجامع موضع رأي ناجح ، وذلك من العبث ، فقال : « ومن ذلك قول الفيند الزماني معاصر المهلهل »^(١)

« بقيت بعده الجليلة تبكي والتحدود الميطاء تدعو لحاحا » ثم قال : « هكذا جاء في روضة الأدب (ص ١٨٥) ، وشعراء النصرانية (ص ٢٤٣) » انتهى .

قلنا : وحسناً فعل حين قال : « هكذا جاء في روضة الأدب وشعراء النصرانية ، لأن سليقته تقول له : ليس هذا المعجز من العربية في شيء ، إنما هو باللغة الشورية »^(٢) ، ولم تكن هذه اللغة يوماً لغة فصيحة ، بل خليطاً من العربية ، والرومية ، واليونانية ، والزعفرانية ، والجلجلونية !

زد على ذلك أن صاحب روضة الأدب إسكندر آغا أبكار بروس وهو أرمي فاسد الذوق العربي ، فهو غشاء سيل ؛ وصاحب شعراء النصرانية شيخو ، وكان رحمه الله - حاطب ليل ، على ما اشتهر عنه في سورية والعراق وديار النيل ، فوقعتا بين غشاء سيل وحاطب ليل ، لكن لا عتب على الأب شيخو ، لأنه تقل أبيانه الزمانية عن الأرمي المذكور ، وهذا الرجل يكتب الأرمنية بحروف

(١) نحن لا نعلم ما نصلح من مقال المخالف : أراهي التحوي ، أم عبارته ، أم الأعلام التي يترى لذكرها . إننا لم نجد أحداً من الفصحاء ذكر هذا الشاعر باسم (المهلهل) إنما ذكروه بلا لام التعريف ، إن الأب لويس شيخو ذكره باللام في شعراء النصرانية ، لكن متى كانت هذا الأب - رحمه الله - حجة في العربية ؟

(٢) الأستاذ الكبير الشيخ أمين ظاهر خير الله من الشوير ، (كزريد) مركز مديرية من محافظة المتن في لبنان .

عربية ، ويتوهم أنه يكتب المضربة ، وإلا فما معنى قول الفند :
« الحدود العيطاء » ، وهل كانت أو تكون أو ستكون ،
أو سوف تكون ، يوماً ، الحدود عيطاً (بكسر العين وإسكان
الياء) . فالعيطاء مؤنث الأعيط ، والأعيط على ما في معاجم
اللغة : « الطويل الرأس والعنق ، والأبى المتنع » فما معنى
العيطاء وكيف تتفق مع الحدود ؟ اللهم إلا أن يكون معناها غير
هذا في إحدى اللغات الثلاث : المالطية والوقواقية ، أو الشنقاقية ؛
لكنني أقصر معترفاً إلى أجهلهم كلهم . ولعل حضرة المجادل
يفهمهم ، فيفسر لنا الكلمة في موقعها هنا !

ثم لو فرضنا أن لها معنى غير مدون في كتب متون اللغة
فليس ذلك دليلاً على أنها وردت في كلام الشاعر الأصلي ،
إذ البيت ظاهر الوضع وليس من كلام الأقدمين .
ثم لو فرضنا ثانياً أن لها معنى حسناً يناسب المقام هنا ، فإن
الفند الزماني كان من ربيعة بن زرار ، والعربية الفصحى لم تنقل
إلا عن قريش ، وأسد ، وتميم ، وقيس ، وكلهم من مضر ،
فكيف يستشهد بكلام من هو من ربيعة ؟
ثم لو فرضنا ثالثاً - وهو أمر قريب من المحال - أن المجادل
وجد لنا عشرة أبيات شعر ممن يستشهد بكلامهم وفيها ما يثبت
دعواه ، فليس ذلك بشيء ، لأن شواهد ليست من القرآن ،
ولا من الأحاديث النبوية ، ولا من كلام الفصحاء ، والبلغاء ،
الآثبات ، إذ لا يكون الكلام ممن يوثق به إلا إذا جاء منقولاً
عن أخذت عنهم العربية المضربة الفصحى .

ثم لو فرضنا رابعاً أنه أماناً بعشرة شواهد ممن يوثق بعربيتهم
من قريش ، وأسد ، وتميم ، وقيس ، ف عشرة شواهد غير كافية
لوضع قاعدة .
ثم لو فرضنا خامساً أن المشرة الشواهد التي جاءنا بها من
خول شعراء مضر ومن عشرة منهم ، فإننا لا نقبل الشعر في أمثاذ
القياس ، لأن النظم يتحمل ضرائراً لا يقبلها النثر ، فنحن لا نرضى
إلا بنثر وصين يذكر مثل تلك الكلمة أي الكريات البيضاء ،
والأفصيص تلك الشواهد سلة المهملات ، أو سلة المحترقات
فليتدبر حضرة غفائي هذه الأقوال بكلمة كلمة ، ثم يتعرض
للرد على ردأ معقولاً يفهمه الناطقون بالضاد لا أبناء الشوير فقط
وقال أيضاً المعترض : « ورد في كتب النحاة كشروح

ألفية ابن مالك ، وفي المعاجم كالقاموس والتاج : جاؤوا الجاء
الغفير ، أي يقال : جاء العلماء الجاء الغفير »
لله درك ياسيدي من عالم بارع ولغوى عظيم ! إننا لم نجد
في التأليف التي تشير إليها ما تقول . ففي أي طبعة من طبعتها ؟
وفي أي بلد من البلدان طبعت تلك المصنفات ؟ وفي أي سنة
من السنين نشرت ؟ إنك لم تقل لنا كل ذلك . أما في الكتب
التي بأيدينا فإنها لا تقول ما تدعي . وكيف يكون كلامك صحيحاً
وفيه من الخطأ ما ارتعد له الملأ الأعلى ، وأهل الأرضين السفلى !

كيف يكون معنى جاءوا الجاء^(١) الغفير : جاء العلماء الجاء
الغفير ؟ ففي أي لغة تشكلم ، وهل تفهم ما تقول ياسيدي اللغوى
القدير ! أما نحن فنخالفك ؛ فقد يقال : جاءوا الجاء الغفير
من غير أن يكونوا علماء ؛ إذ قد يكونون عواماً وسوقة ، فأين
وجدت ما تقول ؟ إننا نرى في تاج العروس في باب (جم)
ما هذا نقله : (وجاءوا جمّاً غفيراً ، والجماء الغفير) أي (بأجمعهم)
قال سيبويه : « الجاء الغفير من الأسماء التي وضعت موضع
الحال ، ودخلها اللام والألف ، كما دخلت في المراك من
قولهم : أرسلها المراك » اه . المقصود من إيراد هذا كلام
القاموس وكلام التاج أيضاً ؛ فالذي بين هلالين هو للقاموس
وما بقى هو للتاج على ما هو مقرر في هذا الديوان اللغوى

فيا سيدى وأستاذى العزيز ، على من تريد أن تعبر عباراتك
وآراؤك ؟ وقرأ هذه المجلة كلهم يفهمون ما تكتب وما تحاول
أن تعبر عليهم من الأحلام والمنامات ، وما شابه هذه الترهات
والخرعيلات وأضغاث الأحلام

وقال حضرة سيدى وأستاذى الجليل : « وفي شرح الروزنى
القاضى قول الحارث البشكرى : « وله فارسية خضراء » يقول :
« وله دروع فارسية خضراء » فهذا كلام لا غبار عليه ، لأن
خضراء هنا مجاورة لفارسية ، وفارسية كلمة مفردة مؤنثة وإن
كان معناها يدل على جمع لأنها عائدة إلى (دروع) . فراجع
الشرط الخامس لتفهم سبب هذا القول ، وإن كان يجوز لك أن
تقول أيضاً : « وله دروع فارسية خُضِر » وهذه أفصح من تلك

(١) ومثل الجاء : السراء ، والفسراء ، والبأساء ، والغمشاء ،
والسوداء ، والله نظائرها